لبنان باقٍ إلى الأبد

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

لم يعد يفصلنا عن الألفية الثانية سوى أيام معدودة، وبات بالتالي من المؤكد أن العالم ومعه البشرية جمعاء سيتخطون "القطوع" ولن تتحقق النبوءات التي رافقت الإنسان منذ القِدَّم والتي طالما قالت "تؤلف ولا تؤلفان"، بمعنى أن الأرض وكل ما عليها سيزول بحلول العام ألفين. فالعالم مستمر إذاً والبشرية مستمرة معه في الحياة إلى أن يقرر الخالق جل جلاله عكس ذلك فتقوم القيامة ويعود ابن الله وملائكته كما جاء في رؤيا يوحنا من الإنجيل المقدس ليكون يوم الحساب والعقاب.

سؤالنا كيف سيدخل الإنسان الألفية الثانية، وماذا ترك من ثروات على الأرض وفي الجو لتمكنه من الاستمرار؟ بالواقع لم يترك إلا النذر القليل كون همجيته وطمعه يكادان يقضيان على الأرض كمكان صالح للعيش. فهو دمر الغابات ولوث الهواء والمياه وصدَّعَ حتى طبقة الأوزون بسمومه، كما ابتدع أسلحة دمار شاملة ستقضي عليه وعلى الأرض وما عليها من كائنات حية في حال استعملها. إما الدمار الأكثر خطورة فطاول الإنسان نفسه بقيمه ومبادئه وتركيباته الاجتماعية ومفاهيمه الإنسانية، فتحول بذلك إلى مخلوق ظالم يظلم أخاه الإنسان الضعيف ويضطهده في حقوقه وحريته وإيمانه، ويكفي للدلالة على هذه الهمجية معرفة أن عدد ضحايا حروب القرن العشرين العالمية منها والإقليمية والداخلية تقدر ١٨٧ مليون إنسان (كتاب "انفلات الضوابط" لبريجينسكي). ولبنان بدوره قدم ما يزيد عن ٣٠٠ ألف من مواطنيه بين قتيل ومعاق من جراء حروب الآخرين على أرضه منذ العام ١٩٧٥.

وسؤالنا الثاني كلبنانيين عانينا الظلم، وتحديداً من ظلم القربى ما لم يعانيه شعب آخر هو: هل لبناننا قابل للحياة في الألفية الثانية كدولة لها كيانها وحضارتها وهويتها المميزة؟ وهل سيستطيع لبناني الألفية الثانية المحافظة على الثروة الكبيرة التي تركها له أجداده اللذين خلقوا له وطناً ولا كل الأوطان، صانوه بعرق الجبين، وقدموا على مذبحه التضحيات الجلل؟ وهل يعي اللبناني اليوم إن سبب استمرار لبنانه المعجزة طوال ستة آلاف سنة، وليس ألفين فقط، يعود لإيمان وعزيمة وشجاعة وتضحيات أجداده وشهادتهم للحق دون خوف أو مساومة أو تردد أو أنانية؟

لقد أعطى شعب لبنان العالم والبشرية وفي كافة الحقول ما لم يعطه شعب آخر، لكنه لم يحصد بالمقابل إلا الغدر والخيانة. إلا أن لبنان يكفيه فخراً أنه ذُكر في الكتاب المقدس أكثر

من ٧٥ مرة، وأن أهله أعطوا العالم الحروف الأبجدية، وعلموهم الملاحة، وبنوا لهم هيكل سليمان، أعظم هيكل عرفته البشرية.

في خضم الاستعدادات الجارية لدخول الألفية الثانية لا بد وأن كل منا سيحمل معه من السنين المنصرمة مجموعة من الانطباعات والتجارب بحلوها ومرها مقرونة بأماني معينة للمستقبل. إن ما سأحمله شخصيا في وجداني وقد تخطيت العقد الخامس وعشت ثلاثة أرباع حياتي في بلاد الغربة، هو إيمان لا يتزحزح بأحقية قضية وطني، ومزيج من أحاسيس الحيرة والخوف مقرونة بتساؤلات عديدة منها: أي لبنان سنسلم لأحفادنا، وهل سيتمكن هذا اللبنان من الاستمرار في مواجهة الصعاب والتحديات؟ وما هي مسؤولية المواطن اللبناني، وتحديدا في بلاد الانتشار للحؤول دون تفكك الوطن اللبناني والأمة اللبنانية وانقراضهما؟

هناك حدثان منطبعان في ذهني أثرا على مجرى حياتي هما:

الحدث الأول هو مرحلة النضال الوطني المقدس التي قادها البطل الشيخ بشير الجميل محاطا بشعب لبنان العظيم والتي سجلوا فيها انتصارات محقة أبرزت الهوية اللبنانية وحق لبنان بالسيادة والاستقلال والفرادة، ومن ثم استشهاد القائد، الحلم، المفاجئ مع نخبة من رفاق نضاله، وما تبع تلك المأساة من مآسي وحروب وتهجير وخيانة للحلم ولدماء الشهداء.

والحدث الثاني هو ظهور القائد العماد ميشال عون حاملا مشعل التحرير والكرامة والعنفوان، وقد تمكن بصدقه وعفوية مشاعره الوطنية وحبه لشعبه من استقطاب أكثرية أبناء الوطن حوله فاتخذوا قصر بعبدا الرئاسي بيتا لهم وجعلوا ساحته منبرا أطلقوا منه ما يجول في وجدانهم من عنفوان وطني وتطلعات لبناء وطن حر سيد قوي منتفضين على ظلم وهمجية الغزاة الطامحين لاغتصاب أرضهم واقتلاع كيانهم وطمس هويتهم. ولن أنسى أبدا كيف تآمر العالم على شعبنا وعطل حلم البشير بقتله، ومن ثم تابع تآمره وأبعد الرئيس عون عن السلطة بقوة السلاح الغريب ليتم بعد ذلك احتلال لبناننا، وتفكيك أسس كيانه، واقتلاع أهلنا من جذورهم ودفعهم للهجرة، وتنصيب حكم لبناني تابع لا يمت إلى قيم اللبنانيين وتطلعاتهم بشيء.

أما المعتقد الذي لن يفارقني فهو إيماني الراسخ بحتمية انتصار شعبي ودحره المعتدين عليه، وثقتي المطلقة بأن ما ناضل من أجله البشير ومن بعده عون ومعهما آلاف اللبنانيين الذين قدموا أنفسهم قرابين على مذبح وطن ال ١٠٤٥٢ كيلومتر مربع، باق في ضمير ووجدان وتفكير كل لبناني تعز عليه الكرامة الوطنية، ويقدس دماء الشهداء الأبرار، ويؤمن بلبنان ال ٦٠٠٠ سنة تاريخ وحضارة، لبنان السيد الحر المستقل، وبحق شعبه الكامل بتقرير مصيره دون تدخل غريب.

مع دخولنا الألفية الثانية نحمل معنا كلبنانيين جروحنا النازفة، ووضعنا المأساوي، وتجاربنا الموجعة، وآلام مئات المعتقلين اعتباطا من أهلنا في السجون السورية والإسرائيلية، والكثير من الأسى واللوعة لما وصل إليه حال بلدنا وحال بعض أهلنا، إلا أننا في الوقت عينه نحمل أيضاً الثقة بالنفس والإيمان الراسخ بقدسية القضية اللبنانية، والتصميم على متابعة المسيرة دون هوادة أو تنازل عن أي من حقوقنا المقدسة.

سنتابع المسيرة التي بدأها أجدادنا منذ ستة آلاف سنة، والتي حمل مشعلها منذ سنة ١٩٧٥ البشير وعون والبستاني ومالك وغيرهم الكثير من القيادات المخلصة، ومعهم الأكثرية الساحقة من أبناء الشعب وآلاف الشهداء الأبرار.

أما ذخرنا للألفية الثانية فهو سلاح الشهادة للحق، وقوة التشبث بهذا الحق، والدفاع عنه حتى النصر، واللبناني ما تعود على الانكسار.

عشتم وعاش لبنان السيد الحر المستقل.